# في يوم التطوع العالمي
# متطوعو الإغاثة الزراعية يكتبون سيرة العطاء تحت النار



يأتي اليوم العالمي للتطوع والمشاركة المجتمعية كتذكير عالمي بقيمة المبادرة الإنسانية ودور الأفراد والجماعات في حماية مجتمعاتهم وتعزيز قدرتها على الصمود. وفي قطاع غزة، حيث يعيش الناس واحدة من أعقد الأزمات الإنسانية في العالم، تبرز تجربة الإغاثة الزراعية كواحدة من النماذج الملهمة في العمل التطوعي والتنظيم المجتمعي والاستجابة للأزمات.

منذ لحظات العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، كانت الإغاثة الزراعية من المؤسسات الرائدة في التحرك بسرعة وفاعلية. فقد تأسست هذه المؤسسة أصلا على فكرة العمل التطوعي والعمل المجتمعي، وعلى إيمان عميق بأن مشاركة الناس في اتخاذ القرار وتنفيذ المبادرات هي أساس القوة الحقيقية لأي مجتمع. لذلك، ومع بداية الحرب شرعت الإغاثة الزراعية في تعبئة متطوعيها المنتشرين في كافة أنحاء القطاع، ليشكلوا خط الاستجابة الأول لمساعدة الأسر النازحة.

عمل المتطوعون وسط ظروف إنسانية قاسية، وقدموا الدعم الطارئ من غذاء وماء ومأوى، وساهموا في تسيير شؤون آلاف العائلات التي فقدت بيوتها ومصادر رزقها. وانتشر متطوعو الإغاثة الزراعية في الشوارع والمناطق ومراكز الإيواء ليقدموا يد العون حيثما دعت الحاجة. وفي هذه الرحلة الصعبة، فقدت الإغاثة الزراعية إثنين من أفضل متطوعيها، الشهيد كمال حمد والشهيد زياد أبو شدق، اللذين ارتقيا أثناء أداء واجبهما الإنساني. وقد شكل رحيلهما علامة مؤلمة، لكنه في الوقت نفسه يؤكد عمق الالتزام وروح التضحية الوطنية التي يتحلى بها متطوعو المؤسسة.

ومع اشتداد الحرب وتعاظم موجات النزوح، بدأت الإغاثة الزراعية في تطوير نموذج فريد في مدينة خانيونس، يقوم على تشكيل لجان حماية مجتمعية محلية. تتكون هذه اللجان من متطوعين محليين يعرفون مجتمعاتهم واحتياجاتها وقدراتها، ويسعون إلى استثمار كل مورد متاح لتخفيف معاناة السكان. وقد أصبح هذا النموذج واحد من أهم أشكار تنظيم المجتمع، حيث ساعد على تعزيز التعاون الداخلي وتفعيل المبادرات المجتمعية التي أحدثت أثرا كبيرا في حياة آلاف النازحين.

استطاعت هذه اللجان أن تعزز صمود النازحين في مواصي خانيونس، وأن تنشر الوعي وتدعم الحياة اليومية للنازحين من خلال استخدام الموارد المحلية، إلى جانب تنسيق الجهود مع المؤسسات الدولية والمحلية. كما عملت الإغاثة الزراعية على بناء قدرات أعضاء اللجان في مجالات الحد من مخاطر الكوارث، وإدارة الأزمات، وتنفيذ المبادرات المجتمعية، إضافة إلى مهارات الاتصال والتواصل والتنسيق مع الجهات المختلفة. وأسهم هذا التأهيل في رفع جاهزية المجتمع وتعزيز قدرته على مواجهة الظروف الطارئة والتكيف معها بفعالية.

ومع بدء الهدنة في شهر يناير 2025 وعودة النازحين إلى مناطق شمال غزة، أطلقت الإغاثة الزراعية حملية "ألفية العطاء" على طول شارع الرشيد من جنوب القطاع إلى شماله. وقد كان هذا الشارع شريان الحركة الوحيد أمام آلاف المواطنين العائدين إلى بيوتهم. وأظهر متطوعو الإغاثة الزراعية مستوى عالٍ من المسؤولية والتنظيم، حيث عملوا على تنظيم حركة الناس، مساعدة العائلات في نقل أغراضها، وإزالة العوائق من جانبي الطريق لتسهيل المرور وسط الازدحام الشديد. لم يكن ذلك مجرد عمل طارئ، بل كان انعكاسا لجوهر فلسفة الإغاثة الزراعية القائمة على الحضور الميداني، والعمل الجماعي، والشعور بالواجب تجاه المجتمع.



إن تجربة الإغاثة الزراعية خلال الحرب على قطاع غزة ليست مجرد حكاية عن تقديم مساعدات، بل هي قصة عن كيف يمكن للعمل التطوعي المنظم أن يصبح خط الدفاع الاول عن المجتمع في أوقات الكارثة. لقد أثبتت هذه التجربة أن المجتمعات، مهما كانت معاناتها، تمتلك طاقة كامنة وقدرة على التعاون إذا وجدت المبادرة والإرادة الصحيحة. وقد شكلت الإغاثة الزراعية مثالا عمليا على ان التطوع ليس نشاطا ثانويا، بل جزءً أساسيا من منظومة الصمود والحماية الإنسانية.

وفي اليوم العالمي للتطوع، يقف متطوعو الإغاثة الزراعية كرمز للإيثار والانتماء، وكدليل على أن العمل الجماعي قادر على صنع الأمل حتى في أكثر اللحظات قسوة. وبينما يستمر العدوان وتتواصل التحديات، تبقى هذه التجربة واحدة من النماذج التي تستحق التوثيق والدعم، لأنها تبني قدرة المجتمع على التعافي والاستمرار.

العالم يحتفي اليوم بالمتطوعين، لكن في غزة، هؤلاء المتطوعون ليسوا مجرد فاعلي خير، بل هم جزء من نسيج الحياة اليومية، وعنوان من عناوين العمل الإنساني، وشركاء حقيقيون في حماية المجتمع وبناء مستقبله. وتبقى الإغاثة الزراعية بجهود أفرادها ولجانها ومبادراتها، شاهدا على الدور العظيم الذي يمكن للإنسان أن يلعبه عندما يختار الوقوف إلى جانب أفراد مجتمعه رغم المخاطر والألم.